أبو جابر الخليلي

(قصة)

توفيق فياض

كانت ساعة التيراسانتة في القدس ، قد دقت الثانية صباحا ،حين كان ابو جابر الخليلي لا يزال يجلس على كرسيه القش الصغير ، متلفعا بمعطفه الزيتي الثقيل ذي الازرار النحاسية المخضرة ، التي لا تزال تحمل التاج البريطاني منذ عهد الامبراطورية الزائلة ، وقد اسند ظهره الى حائط البنك البريطاني على افريز الشارع المقابل لساحة باب العامود ، ضاغطا قبعته الزيتية الكالحة ، حتى مست حوافها المهترئة ، ياقة معطفه المتسخة المرفوعة ، واتكأت على رفرفحاجبيه الاشيبين البارزين المتقابلين ، حتى لم يعد يبدو من وجهه الاثري ، غير انفه النسري الانقر ، وذقنه الاستي المغروز ، المطل من بين ثنايا كوفيته المرقطة ، الملفوفة على رقبته تحت ياقة المعطف ، زيادة في الحذر من غدر البرد القدسي القارس في مثل هذا الوقت ، والمخالف لكل تقويم فصلي • اذ ليس ابو جابر الخليلي من يخدعه مزاج الطقس في القدس ، وتقلباته المفاجئة ، فهو يعرف مزاج الطقس في القدس اكثر من معرفته لمزاج ام جابر في آخر الشهر عادة ، بل وحتى من الطقس نفسه • ويكفيه ان يطل بانفه خارج نافذة منزله الحقير في باب الاسباط، في اي ساعة من ساعات النهار ، ليقول لك كيف سيكون الليل ، واذا ما كان عليك تمديد خدمة معطفك الشتوي لتلك الليلة ام لا ، كي لا تصاب بنزلة صدرية في عز الصيف ، والعياذ بالله •

ولم يكن ابو جابر من هواة التسكع في انصاف الليالي ، والجلوس على كرسي من القش على افريز الشارع ، في هذا البرد ، كالقرد المربوط على بلاطه ، كما قد يظنه من يجهله ، ومن يجهلك عادة يظلمك • ففي الحقيقة انه كان يفضل الف مرة ، الانجماء الى جانب ام جابر ، والتمطط تحت اللحاف في مثل هذا الطقس البارد ، والاحتكاك بجسدها المريرب الدافيء • الا أن رزق العيال له احكام ، ولكل رزق نطة ، ونطة « ابو جابر الخليلي » لسوء حظه ، اختارت الليل على كبر موعدا لها ، وحرمته الكثير مما احله الله في الحلال من نعمة الليل ، الى